

السفر خارج الطبيعة والوقت

الفنان التشكيلي العراقي فؤاد حمدي يترحل إلى الدواخل



خارج الزمن داخل الذات



عزلة تشبه الضمير الخفي



أماكن خلف الجدران

وجزّدت الأطراف والتلفيقات الهيكلية من عجائبيتها البدائية، ومثلت بما هي احتمال دال على التشوه والانسحاق، لقد كان الفنان المترحل بحق، كما عبّر جون ديوى ذات يوم عن وضع الفنان المعاصر "مبالغاً في انصاليته إلى حد الغرابة" (الفن خيرة، ص 127).

المشهور والضوء واللون، واسترسل في توسيع احتمالات التأثر، للإيحاء بعنف الوجود في القوقعة، خارج الطبيعة والوقت، بيد أنه لم يكن في المحضلة فنان الفكرة والمعنى المجزّدين من تقاليد التحفة، لقد تخففت تقطيعات الكتلة الحية لديه من الفيزيولوجيا الصادمة،

والهشاشة، وتُضج وتسحق.. ولم يكن تفصيلاً عابراً ذلك الذي جعل فؤاد حمدي يحتمي بجدران مرسومه الخاص لشهور الشتاء الطويلة في كندا، لتكون عالمه الكامل والمستغني، لحظة التدفق، درءاً لصقيع الخارج.

في عوالم الجدران والوجوه والأجساد المشطورة والمكومة، لا تدرك الوحدة إلا بوصفها تعدداً، تمثل النوات بما هي ثنائيات أو جمع، هي عينها "أغيار" كثر، يتناظرون مثلما تتناظر ظلالهم، كثرة الواحد المتوالد هي ما يقوِّض العزلة، من هنا يمكن فهم تلك الدوائر التي تخطها الأجساد في المساحة، مألوفة ومبددة لحصار العلية الحاضرة.

احتمالات حسية مدوّخة

في مجموعة ثانية من اللوحات يقدم فؤاد حمدي الساعة باعتبارها نواة لتشكيل الأعضاء والكائنات والمنظور، ساعات دائرية بأرقام وعقارب، نابذة في الوجوه والجذوع، ملتبسة بالمكعبات والدوائر المحضنة للكائنات، والمكتنفة للجدران والخلفية، أو المعلقة في الفراغ، مسكونة بالرؤوس، أو منبهقة من عضو الخصوبة الأنثوي أو متارحة على الجبين. ساعات مكتملة وأخرى ناقصة، أنصاف وأجزاء، بأرقام نابذة أو متساقطة.

احتمالات حسية مدوّخة للألة النازمة لمسار العمر. الحاسبة للثواني والدقائق والساعات. تصوغ مجازات السعي للخروج من وصفة الحساب، والعبور إلى مطلق لازمني، دون خلفية ولا أفق، مجرد جدران ودوائر ومكعبات، معازل خارج دائرة الليل والنهار وتعاقب الفصول، هندسة للإقامة خارج الوقت. ليس المعزل في النهاية هو مكابدة الحساب، ونسيان التعاقب وما يتصل بها من شهوة الانتظار؟

في لوحة من هذه المجموعة تخترق بجة الجدار الأبيض في المكان المغفل، ويواجه الناظر في العمق جداراً أسود، وعلى اليمين بمساحة ضيقة ينهض جدار أخضر قائم يميل إلى السوداء، منحن يميناً إلى مساحة أكبر لا تبرز نهايتها، في الأرضية الصفراء المائلة إلى البني ينتصب نصف علوي لامرأة، لا ملامح له، بوجه دون تقاسيم، مشرب لأعلى، وجيد ونهدان مطموسا الحلمتين، النصف بلا يدين، على نحو شبيه بتمثال نصفي غير مكتمل. تتراكب عبر تخطيط شعاع ضوئي أصفر شفاف أقبعة ثلاثة متراصة لأعلى، تكرر هيئة الوجه، مانحة إياه عينين وأنفاً وفماً. في متن الشعاع تتصادى الأقبعة

مع وجه البجة المطل من الجدار، المتخذ صفة بشرية ناقصة، تركب القناة الضوئية، الواصلة بين الوجه والأقبعة ورأس البجة، على قاعدة نصف أنثوي سفلي، تطرف من انثناء عضو الخصوبة البنفسجي فيه، ساعة برقمين، ووضع مختل للعقربين ينزاح عن البؤرة... تختصر هذه اللوحة المكثفة والضاجة بالألوان والضلال والكتل، إيحاءات التشظي والحصار والوجود خارج الوقت، أو بمعنى أدق هندسة وضع خارق للوقت على إيقاع فتن الحواس. لذلك ربما تم تركيب القنطرة الضوئية خارج مدار الساعة وأصله بين الأقبعة والوجوه المتصايدة والمتناظرة؛ الوجوه والعيون الناقلة للإحساس بالمرئي خارج لهوجات الوقت وكروبه وكوابيسه.

لا وجود للوقت في زمن المنفيين واللاجئين والمحاصرين والمدفوعين إلى الملاجئ، هو وقت مؤقت أو دون ذاكرة هو مساحة للتكرار والتناسخ والنسيان، ومن ثم فهو فاقد لحسبته وامتداده الأفتي، يتحوّل تدريجياً إلى تجريد لا قيمة فيه للدقائق والساعات والفصول، مادامت الأجساد المشطورة والمتشظية اتخذت لها هندسة مستحدثة

يقحمنا الفنان العراقي فؤاد حمدي من خلال لوحاته في عوالم مدهشة من التشكلات والظلال والجدارات والخطوط والانحناءات، وكأننا ندخل إلى دهاليز ملونة حاملين مشاعل الضوء، فكل لوحة من لوحاته دهشة أخرى تخترق قشرة الكائن لتصل إلى جوهره وكنهه وحالاته على تعددها.

أقبعة ناهضة، بعيدة عن إيحاء الظل المرئي، تبدو أقرب ما تكون لأثر أجساد أمحت، وبقي مكنون رؤية الفنان لها؛ ضامرة ومضمومة ولدنة تلتبس بانحناءات الزوايا الخرساء والصلبة وتغرس فيها، تكوينين يذكّرنا بمقولة ميرلو-بونتي "يبدو المرئي من حولنا وكأنه يقوم بذاته. لكان رؤيتنا قد تشكلت في صلبه أو كأنه كان ثمة بينه وبيننا الة جد حميمة كالتي بين البحر والشاطئ" (المرئي واللامرئي، ص 214).

في أغلب لوحات هذه المجموعة يبدو هذا الرسم البصري ثابتاً، يرنو إلى الكتل المشكّلة في البؤرة والعمق، كشاهد ورقب أو ضمير خفي، يتأمل في تحولات الكتل وتشظيرها الصاعق؛ في إحدى اللوحات يطالعنا جسد بلا رأس ولا ساقيين تندلق من جوفه الفارع كرة تشبه قناعاً دائرياً، تنعم النظر في الطيف الناهض في الخلفية، الملون بالأزرق السماوي والأصفر والأخضر، مثل مارد رخو، من دخان أو ضياء، تجسر ظلاله المسافة مع الجسد المجزوء، محكية كابوسية تتفاعل تحت أنظار الأثر المنغرس في الجدار، برأسه البني وجحوظ عينيه.

في لوحات أخرى تطالعنا الأجساد البشرية والحيوانية مختصرة، مشطورة أو مضمومة، منغرس في الجدران الصلدة للمساء، مأخوذة بظلالها المضاعفة إلى بؤرة خادعة، توجي أعمال الفنان، المقطع من مرعته، بأن لا حقيقة إلا في الوجه، لهذا تحدثت دوماً عن "أوجه الحقيقة" لا عن أجسادها، بينما تتجلى الأجساد مجوّفة، مفرغة من أحشائها/مضموراتها الدالة، متماهية بالأردية، ملتحممة بأعضاء غريبة عنها، مستعارة من حيوانات وطيور وكائنات بحرية، وأخرى خرافية. فالجسد إيهام يلتبس بإحالاته، هو تلك الظلال الممتدة من إدراكنا لعمق الشيء، وليس المرئي إلا وهما يحتاج لطرز وأريسة تعيد تكوين مساحات العري والحجاب فيه.

وفي لوحات هذه المجموعة أيضاً يبرز الجدار المحيط بالأوجاع والأجساد والظلال المضاعفة، بوصفه علة للمرئي، الرؤية هنا في الداخل وفي العزلة وضمن مساحة محدودة، رؤية الشيء في حريته وحقيقته، المحجوبة عن العالم وعن العموم؛ إنه الفضاء التكويني لجنون الجسد العاري الفائن، ولأعضاء الخصوبة والنظر والتفاعل، حيث الوحدة طاقة للفعل الفطري المتحرر من القيود. توهمننا الأعمال بأن للجدران عاطفة وعقلا، ولا يمكن اختصارها في مجرد حدود، هي التي تصوغ الصلابة

الظل منحن على الأرضية السماوية المخططة، البادية كتشعاع طافر من العنق، زاحف إلى صفحة الجدار المقابلة. ظل داكن يشكّل ما يشبه فانوساً، له ميسم وجه، فيتخايل الرأس المسون أشبه ما يكون بمسار فانوس السحري. تراه ذلك المراد الذي سيطلق الكائنات المشطورة المركبة من أعضاء مستعارة لبشر وحيوانات وطيور في اللوحات المتلاحقة؛ محتلم. إنما الأکید أنها العتبة الفنطازية الأولى لاختيار تكويني منحاز لطبقات لونية متراكبة، شفافة، ومسكونة بالضوء، ومنظور مخاتل، وظل يبدو كشبي

حقيقي له ظلاله المضافة.

في المجموعة الأولى، من

معرض فؤاد حمدي، تتجلى التخطيطات الرسومية في الجدران، لأجساد مختصرة، متوجة برؤوس/

شرف الدين ماجدولين

كاتب مغربي

حين تأجل معرض الفنان العراقي

فؤاد حمدي بغاليري "ذي باي"

بهاملتون - كندا، بسبب الوباء، كان

يحقق نبوءة ثابثة في لاوعي خفي

للأعمال القادمة من ذاكرة الترحل

وملاحقة الأمكنة والوقت وظلال الناس.

هو القادم من سفر طويل أخذه من بغداد

إلى دمشق، ومن دمشق إلى إسطنبول،

ومن إسطنبول إلى هاملتون.

لم يكن خروجاً من المرتع والمعبّر

الإليفي إلى الصقع البارد فقط هو

المسكون بدفء الداخل، وإنما كان

خروجاً من الوقت وهندسة مواعيد

ومفارقة للوقائع الثابتة المستكينة

إلى بداياتها، إلى الارتباك المؤبد،

والإلى الظلال المتنامية والآثار الهاربة.

لذلك لم يكن غريباً أن يستعير من

الذاكرة الضاجة بالحروب والهجرات

والحصارات، جدراناً متقلبة، تحفظ

هشاشة الجسد والأعضاء، من

الاستنقاع في التشظي، وأن يصطنع ما

يشبع قوقعة متقلبة لكائناته الأثيرة.

كتل مشكلة

يبدو أن فؤاد حمدي، الذي استعادته لوحة مفردة من جفاف عابر، صيف 2018، لم يكن ليستسلم لدفق الإنجاز المتد عبر العشرات من اللوحات في تجربته الجديدة، لولا إحساس لاجع بالانتقال إلى ضفة مختلفة في الأداة والأسلوب، تستغل على المنظور والظل بنحو اختراقي، وتعيد تكوين مجسمات الضوء والألوان والخلفية، ومساحات الكتل والأعضاء في متن اللوحات المترسلة، هي مزيج من تعبيرية مستحدثة بنفس سريلي، ومثال لتخطي القواعد، وأصوليات الحداثة لدى الفنان المعاصر، حيث "الما قبل" و"الما بعد"، بالنظر إلى الفضاء والوقت والسفر، حاسمان في تمثيل الغاهيم والصيغ والاختناجات تجاه اللون والضوء والاشكال البند.

في اللوحة المفتاح بنبت وجه (أو قناع) من جدار ينثف من فمه دخاناً سحرياً، يكسب ألواناً ملتبسة بمقامات بعضها بعضاً، ينهبق منها الأزرق والوردي والقرمزي والأخضر والبني، مشكلة وجها عاتياً لكائن خرافي، مختصر في مجرد رأس، مشرب إلى الظل المنسكب من الوجه (القناع) النابت من السطح البني.

الظل منحن على الأرضية السماوية المخططة، البادية كتشعاع طافر من العنق، زاحف إلى صفحة الجدار المقابلة. ظل داكن يشكّل ما يشبه فانوساً، له ميسم وجه، فيتخايل الرأس المسون أشبه ما يكون بمسار فانوس السحري. تراه ذلك المراد الذي سيطلق الكائنات المشطورة المركبة من أعضاء مستعارة لبشر وحيوانات وطيور في اللوحات المتلاحقة؛ محتلم. إنما الأکید أنها العتبة الفنطازية الأولى لاختيار تكويني منحاز لطبقات لونية متراكبة، شفافة، ومسكونة بالضوء، ومنظور مخاتل، وظل يبدو كشبي حقيقي له ظلاله المضافة.

في المجموعة الأولى، من

معرض فؤاد حمدي، تتجلى

التخطيطات الرسومية في

الجدران، لأجساد

مختصرة، متوجة

برؤوس/

أجساد أمحت، وبقي منها فقط رؤية الفنان لها ضامرة ومضمومة ولدنة تلتبس بانحناءات الزوايا الخرساء

